لَمَحَاتٌ عِلْمِيَّةٌ وَقُطُوفٌ تَفْسِيرِيَّةٌ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالميــة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

لَمَحَاتٌ عِلْمِيَّـــةٌ وَقُطُوفٌ تَفْسِيرِيَّةٌ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالميـــة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

المُقَدِّمَة

لا خلاف في المنهج بين مفسري اليوم للآيات الكونية ومفسري الأمس؛ سوى تَجَلِّي بعض خفايا الخليقة بعد اكتشاف المنظار والمجهر وتطور وسائل الرصد، لتسطع البينة على أن هذا القرآن هو الحق، ولو كان مُفَسِّرِي الأمس مُعَاصِرِين لَسَارَعُوا إلى تفسير الآيات الكونية بالحقائق العلمية، فقد فاضت كتبهم ومن سار على دربهم بوجوه من الإعجاز في القرآن الكريم.

قَالَ الْفَخر الرازي: ""كَانَ عمر بن الحسام يقْرَأ كتاب المجسطي على عمر الْأَبْهَرِيّ فَقَالَ لَهما بعض الْفُقَهَاء يَوْمًا: مَا الَّذِي تقرأونه؟ فَقَالَ الْأَبْهَرِيّ أفسر قَوْله تَعَالَى {أفلم ينْظرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقهم كَيفَ بنيناها} فَأَنا أفسر كَيْفيَّة بنائها، وَلَقَد صدق الْأَبْهَرِيّ فِيمَا قَالَ؛ فَإِن كل من كَانَ أَكثر توغلا فِي بحار الْمَخْلُوقَات كَانَ أَكثر علمًا بِجلَال الله تَعَالَى وعظمته""[1]، والمجسطي هذا كتاب قديم في الفلك والرياضيات ألفه بطليموس حوالي عام ١٤٨م في الاسكندرية، وترجمه إلى العربية حنين بن إسحاق العبادي في عهد المأمون حوالي عام ٨٢٧م[2]، فما بالك بالمجلدات اليوم المزدانة بمفاخر الكشوف ومآثر العلوم!.

وتأتي الملامح العلمية بعفوية وتلطف لا يلفت عن غرض الإيمان، ولا مجال لاستنباط وجه علمي بمعزل عن تفهم بديع أساليب البيان، والخشية من تغير الحقائق العلمية مع الزمن حرص محمود؛ لكن الحقائق ثوابت لا تتغير مع الزمن كظلمة البحر العميق، والقول بأن الاجتهاد قد يصيب وقد يخيب صحيح؛ ولكن حرص المتضلعين بعلوم اللغة والشريعة والطبيعة كفيل بالتصويب.

والتفسير بالعلوم يُوَضِّح ما انتظرته الأيام ليتجلى ويسطع ويتحقق وعد جازم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص:٨٧و٨٨، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٤١فصلت:٥٣، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢٧النمل:٩٣، ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ. لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦الأنعام:٦٦و٦٧، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠يونس:٣٩، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ٣٨ص:٨٧و٨٨.

د. محمد دودح

[1] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٤\ ١٥٤).

[2] موسوعة ويكيبيديا والشبكة الدولية.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ ٧٨النبأ:٦و٧.

Paragraph الفَقْرَة

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا. وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ٧٨النبأ:٦-٨.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾، ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

Did we not make the earth crust a cradles-like (to protect you from the underneath fiery magma)**, and the mountains pegs-like** (extending deeply to stabilize the tectonic plates from vacillation)**?**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

ليست الجبال التي نراها اليوم أبدية الوجود؛ وإنما لها عمر وإن طال محدود، ويمكن التصور بأن القشرة الأرضية في أول تكوينها كانت قطعا تميد وتضطرب فوق دوامات الصهير العملاقة، ومع امتدادها أفقيا تلاقت لتكون قارة أولية واحدة Pangaea؛ انفصلت لاحقا إلى قطع متجاورات وتكونت القارات، ومع إلقاء الحمم من البراكين الأولية امتدت الكتل الطافية رأسيا ونشأت الجبال الأولية مما أحدث توازن القطع الطافية ومنعها أن تميد.

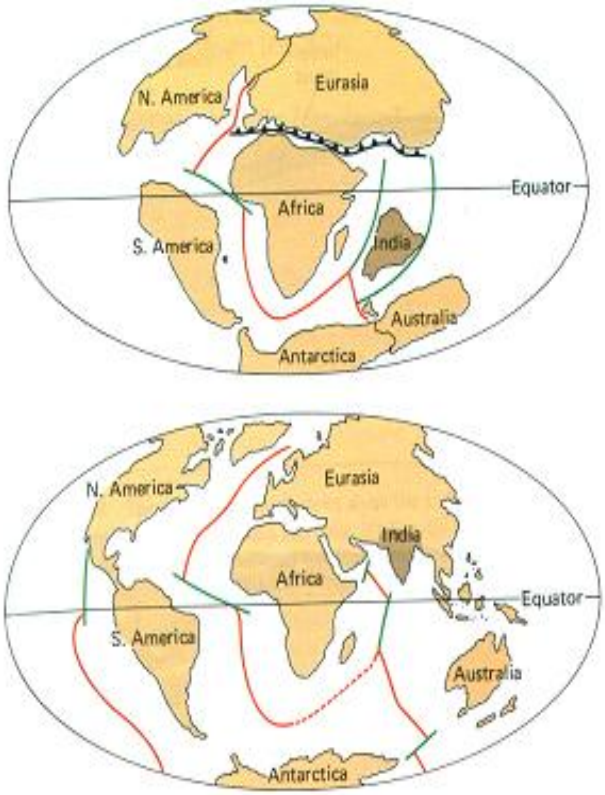

نشأة جبال الهيمالايا

وقد تنشأ جبال وتنصب من جراء تصادم قارة بأخرى مجاورة، ومن الأمثلة الجيولوجية المعروفة نشأة جبال الهيمالايا، فقد كانت الهند واقعة على الحافة الجنوبية لبحر قديم لا وجود له اليوم؛ بينما كانت التبت تقع عند حافته الشمالية، كان ذلك منذ قرابة المائة مليون سنة، وقطعت الهند مسافة حوالي ١٥٠٠ كم أثناء زحزحتها شمالا باتجاه قارة آسيا إلى أن أتى وقت اختفى فيه البحر وجاءت لحظة التصادم المحتومة فعلت الهند وحينئذ نصبت أعلى جبال في الأرض وهي جبال الهيمالايا.

وتعلو قمة جبال الهيمالايا ثمانية كيلومترات ونيف عن سطح البحر، وقد أثبت المسح الجيولوجي أنها تمتد عميقا لمسافة قد تزيد عن ٦٥ كيلو متر، وهكذا يكون الجزء المختفي تحت السطح يعادل أضعاف الجزء البارز فوق السطح، وهذا الامتداد في الأرض المماثل لامتداد الوتد لم يعرفه بشر عند نزول القرآن الكريم بالقطع، ناهيك عن تماثل الوظيفة كذلك، لان الوتد يقوم بتثبيت الخيمة وكذلك تقوم جذور الجبل بحفظ ثبات الكتلة الطافية فوق طبقة الدثار الملتهب للأرض.

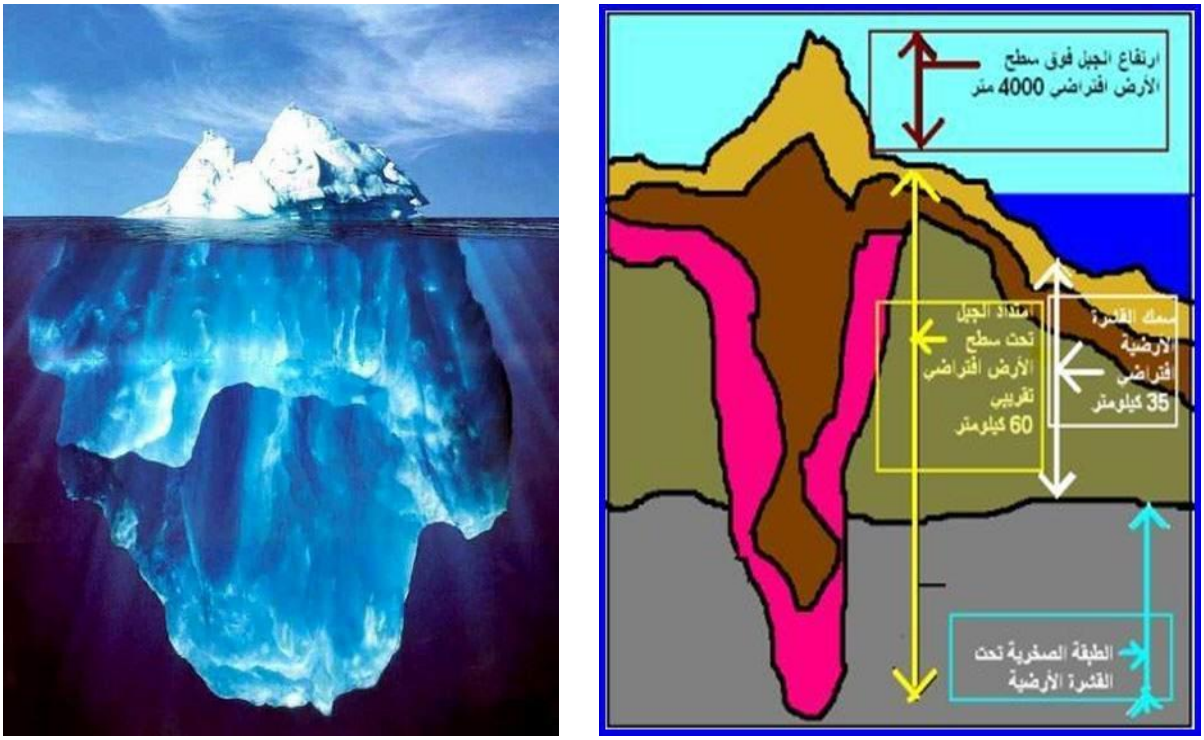

تماثل جبال الألواح القارية مع الجبال الجليدية في الامتداد عميقا لتكون جذورا تحافظ على توازن الألواح.

ومن الثابت حاليًا أن لكل جبل جذر Root يمتد نحو الباطن أكثر من ارتفاعه؛ وكلما زاد الارتفاع زاد امتداد الجذر عمقًا، ولم يكن أحد قبل القرن التاسع عشر يعرف شيئا عن تلك الحقيقة، ففي عام ١٧٤٩م لاحظ بيير بوجير أن قوة الجذب المُقاسة بميل البندول في جبال الإنديز أقل من المتوقع قياسا على الكتلة المقدرة فوق مستوى سطح البحر مما يدفع للافتراض بوجود كتلة أكبر في الأسفل، وأكدت القياسات التي أجرتها بعثة إنجليزية بقيادة جورج إفرست في جبال الهيميلايا في بداية القرن التاسع عشر بالهند نفس النتيجة؛ حيث دلت القياسات على وجود قوة جذب أكبر من المفترض بحوالي الثلثين لم يعرف سببها على وجه القطع ولذا سميت الظاهرة لغز الهند Puzzle of India، وفي عام ١٨٥٥م قدّم أيري Airy الأساس للتفسير الحالي حيث استبعد أن تكون الجبال مثبتة على قشرة صلبة تحتها؛ وإنما تطفو كالسفن في بحر من الصخور اللينة الحارة الأعلى كثافة، ولذا فهي تتبع قانون الكثافة حيث تمتد عميقا في باطن الغلاف الصخري حتى تستقر، الدور الرئيسي الذي تؤديه الجبال إذن هو تثبيت ألواح الغلاف الصخري لا الأرض ذاتها؛ وهو ما أشار إليه القرآن الكريم، والمعلوم أن لفظ الأرض في العربية وغيرها يأتي بدلالات متباينة يحددها السياق كالكوكب والتربة والقطر، وقد يعني السطح الصخري المُميز بالجبال؛ وهو المعنى الوحيد الذي يستقيم مع جعل الجبال أوتادا تثبت الأرض؛ بمعنى السطح الصخري لا الكوكب.

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً. وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾ النبأ: ٦و٧؛ تمثيل للسطح الصخري المُميز بالجبال بلفظ (مِهَاداً) تمثيلا بمهاد الصبي بجامع الحماية من الأخطار، وتمثيل للجبال بالأوتاد بجامع التثبيت والامتداد نحو العمق كجذر مغروس ربما بعمق أكبر من الجزء الظاهر، وهو كشف علمي حديث، وزعم بعضهم أنه نبأ مسبوق في أسفار أهل الكتاب، وفي الفيدا أسفار الهندوس، لكن الوارد في الأسفار تأييد للوهم السائد قديما من أن الأرض مسطحة وتستند أسافل الجبال والمعمورة على أسس كأسس البيوت تظهر في أعماق البحر دونها هاوية يسجن فيها المُعاقبون، فهي حجة على أن الأسفار قد خطتها الأيدي بالوهم لا الوحي، ومثلها أسفار الفيدا حيث نصت صريحًا على أن الأرض ثابتة؛ وأدرجوا تأكيدًا لثباتها: التلال والجبال كأدوات، فلم يثبتوا سوى الوهم السائد لقرون.

وأساس المشكلة عند من يفترضون ابتداءً أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون إلا قول بشر هو الإصرار على تفسير النصوص بصورة تجعل مضامينه متعارضة مع حقائق العلم المكتشفة حديثًا، أو مقتبسة من كتاب أسبق يُنسب للوحي، أو مستمدة من معارف تاريخية أسبق، وهو موقف مُتَعَنِّت يُوقعهم في المغالطات ويفضح عناد لا يستقيم مع النزاهة والأمانة، فقد ادعوا زورًا على سبيل المثال أن القرآن الكريم يقول بثبات حركة الكوكب بحمل لفظ (الأرض) على الكوكب في سياق يدل على الغلاف أو السطح الصخري المميز بالجبال في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىَ فِي الأرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لّعَلّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ النحل: ١٥، وقوله تعالى: ﴿أَمّن جَعَلَ الأرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلاَلَهَآ أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ النمل: ٦١، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأرْضَ مِهَاداً. وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾ النبأ: ٦و٧، ولو أنهم درسوا السياق وفق القواعد وفطنوا للقرائن الدالة على السطح الصخري تمهيدا للحياة تمثيلا بالبساط ومهد الصبي يحميه مما هو دونه من الأخطار الخفية زمن التنزيل لتجنبوا فضح جهلهم وتحيزهم وتعصبهم لأفكار غير حيادية مسبقة، فلفظ (الأرْضَ) في قوله تعالى: ﴿بَقَرَةٌ لاّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ البقرة:٧١؛ في سياق يتعلق بوصف بقرة تثير الغبار أثناء أعمال الزراعة كالحرث وإدارة ساقية الماء يستقيم حمله على التربة لا الكوكب، ويستقيم بالمثل حمل لفظ (الأرض) على السطح لا الكوكب في سياق يتعلق بجعل غلافًا للأرض يحمي من الأخطار دونه بقرينة التمثيل بالبساط والمهاد في قوله تعالى: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ بِسَاطاً. لّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً﴾ نوح: ١٩و٢٠، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأرْضَ مِهَاداً. وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾ النبأ: ٧؛ خاصة مع التصريح بأنها كانت بلا سطح فهيئت للحياة كما يعاينها متأمل يستظل بناقته التي امتد عنقها عاليًا حتى بدت دونها السماء ثم الجبال ثم الأرض في قوله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الأرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ الغاشية: ١٧-٢٠.

والمعلوم في تاريخ الإبحار في السفن هو وضع أثقال حجرية ضخمة أسفلها لتثبيتها كي لا تميد وتضطرب فوق تيارات المحيط، وقبل المعرفة بحركة الألواح القارية العنيفة عند تكونها وطفوها فوق تيارات الحمم البركانية العاتية قبل نشأة الجبال لتعمل عمل رواسي السفن الطافية يردد القرآن على المسامع تلك الحقائق بالتمثيل تأكيدًا للوحي في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىَ فِي الأرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لّعَلّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ النحل: ١٥، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الأرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لّعَلّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ الأنبياء: ٣١، وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىَ فِي الأرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثّ فِيهَا مِن كُلّ دَآبّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السّمَآءِ مَآءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ لقمان: ١٠، وليس من الإنصاف إذن التعسف في حمل لفظ (الأرض) على الكوكب بتجاهل قرائن السياق تلمُّسًا لإبعاد توافقه مع الكشوف العلمية في بيان التاريخ الجيولوجي لسطح الأرض في قوله تعالى: ﴿أَمّن جَعَلَ الأرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلاَلَهَآ أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَـٰهٌ مّعَ اللهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ النمل: ٦١، وقوله تعالى: ﴿اللهُ الّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ قَرَاراً وَالسّمَآءَ بِنَآءً وَصَوّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مّنَ الطّيّبَاتِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبّ الْعَالَمِينَ﴾ غافر: ٦٤.

والدلالة في حديث القرآن الكريم عن الظواهر الكونية غالبا لا ترد شاردة فيسهل للطاعن حملها على معنى يتعارض مع العلم؛ ولكنها تردد مثاني ضمن منظومة متكاملة مترابطة الأجزاء يفسر بعضها بعضًا تؤكد القصد في التعبير وتفضح تلاعب العابثين، وفي قوله تعالى: ﴿أَأَمِنتُمْ مَّن فِي السَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ الملك: ١٦؛ دلالة واضحة تستقيم مع المعلوم حاليا في علوم الأرض Geology بأن القشرة الصلبة المُعبر عنها بلفظ (الأرض) دونها دوامات وتيارات عاتية ملتهبة إلى حد إسالة الصخور الصلبة، وفي تلك المنظومة الدلالية يستقيم حمل لفظ (الأرض) بالمثل على القشرة الصلبة فيتفق المعلوم حاليا من تكونها من ألواح قارية متجاورة مع الدلالة النصية على تكون الأرض من قطع متجاورات في قوله تعالى: ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مّتَجَاوِرَاتٌ﴾ الرعد: ٤، وأمام تلك الروائع في بيان قصة الخلق في تكامل بلا تعارض قبل أن ترددها الكشوف العلمية اليوم على المسامع لا يملك المُنصف إلا الإقرار بالوحي للقرآن، وعلى المتأمل أن يتخير المعنى اللائق بالمقام؛ أما من يجعل غرضه منذ الابتداء البحث عن ذريعة للاتهام فلا يحسب نفسه إذن من الأُمناء، ولا يلوم إلا نفسه إذا كشف المُحققون جهله أو تزييفه ووجهوا إليه أصابع الاتهام.

والدلالة على أن القشرة الأرضية كانت قطعًا تميد وتضطرب قبل أن تمتد وتتلاحم تلتقي تماما مع النظرة العلمية لآليات نشأة الجبال مثل تصادم قارة بأخرى مجاورة، ومن الأمثلة الجيولوجية المعروفة حاليا في آلية نصب الجبال ورفعها عاليا نشأة جبال الهند، فقد كانت الهند واقعة على الحافة الجنوبية لبحر قديم لا وجود له اليوم؛ بينما كانت التبت تقع عند الحافة الشمالية لذلك البحر، كان ذلك منذ قرابة المائة مليون سنة، وقطعت الهند مسافة حوالي ١٥٠٠ كم أثناء زحزحتها شمالا باتجاه قارة آسيا إلى أن أتى وقت اختفى فيه البحر وجاءت لحظة التصادم المحتومة فارتفعت المنطقة ونصبت أعلى جبال في الأرض وهي جبال الهيمالايا. وفي قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ النبأ:٦و٧؛ تشبيه للجبال بالأوتاد الطويلة High Stakes؛ ويشمل هذا التشبيه بالوتد في الأرض الشكل والصورة معا؛ مما يعني ضمنيا أن قسماً من الجبال يمتد عميقا في طبقة القشرة الأرضية نحو الباطن، ومن حيث الوظيفة هي تعمل عمل الأوتاد فتقوم بتثبيت ألواح القشرة الأرضية وتمنعها أن تميد وتضطرب، ولا يمكن أن تلتقي تلك الأنباء مع المعرفة الحديثة عن تاريخ الجبال إلا أن يكون وحيا من عند الله العليم وحده تعالى بكل الأسرار.

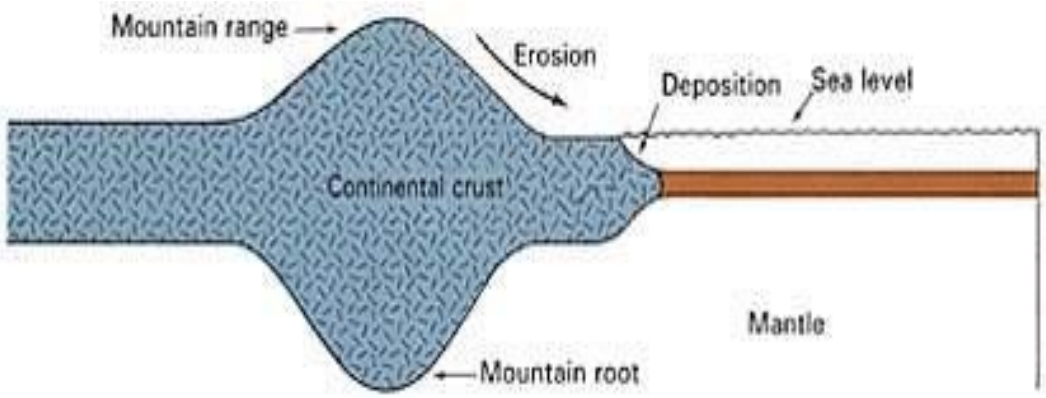

مدهش هذا التوازن Isostacy الذي أبدعه الخالق سبحانه وتعالى في الأرض؛ حيث جعل الغلاف الصخري يطفو بنفس قانون الطفو للبواخر فوق غلافه اللدن الملتهب، وترسو أو تطفو القارات وقيعان البحار على وشاح الأرض كما يطفو جبل الجليد فوق الماء، و تضرب القارات جذورها في وشاح الأرض، ويلاحظ أن الجذور أسفل سلاسل الجبال أكثر عمقا من الجذور تحت المناطق المستوية، هذا ما اكتشفه العلم ، ولكن القرآن الكريم سجل ذلك قبل العلم بأكثر من ألف سنة حيث يقول الحق سبحانه (وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا)، وبالتأكيد إن التعبير الوصفي (أَوْتَادًا) لا يعدله في الدقة شيء، ولم يغب عن فطنة المفسرين أن يسجلوا وجه الشبه في قوله تعالى (وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً) ففهموا أنه في التثبيت، وقالوا جعل للأرض أوتاداً بمعنى أرساها وثبتها وجعلها تقر وتسكن ولا تميد، وإنما استمدوا تلك المعرفة من دلالة الكتاب الكريم، ولا يمكن أن تلتقي تلك المعرفة الحديثة مع فيض الدلالات العلمية في حديث القرآن عن تاريخ الجبال ووصف تكونها إلا أن يكون هو الوحي؛ من عند الله العليم وحده تعالى بكل الأسرار.

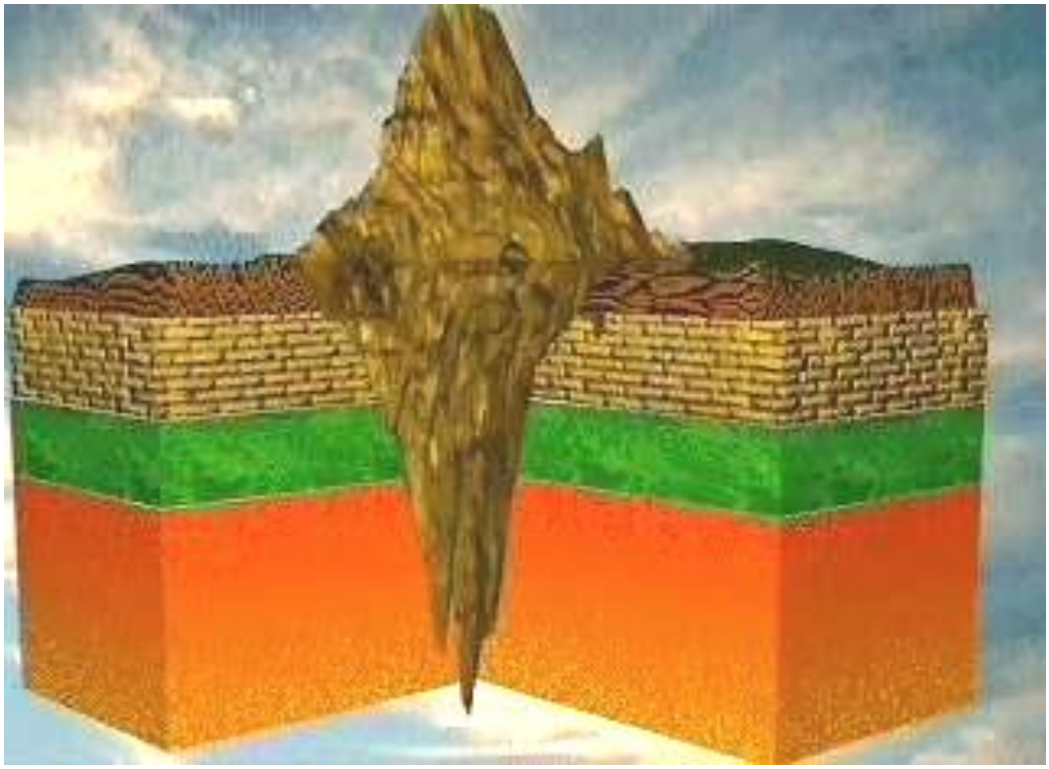

ولم يعرف عن الجبال سابقا سوى أنها كتل صخرية عالية الارتفاع، إلى أن أشار بيير بوجر عام ١٨٣٥ إلى أن قوى الجذب المسجلة لسلاسل جبال الإنديز أكبر بكثير مما هو متوقع من الكتلة الصخرية الظاهرة، فاقترح ضرورة وجود كتلة أكبر غائصة من نفس مادة تلك الجبال حتى يكتمل تفسير الشذوذ في مقدار الجاذبية، وفي أواسط القرن التاسع عشر أشار جورج ايفرست إلى وجود شذوذ في نتائج قياس جاذبية جبال الهيمالايا بين موقعين مختلفين، ولم يستطع إيفرست تفسير تلك الظاهرة فسمّاها لغز الهند، وأعلن جورج إبري سنة ١٨٦٥ أن جميع سلاسل الجبال في الكرة الأرضية عبارة عن كتل عائمة على بحر من المواد المنصهرة أسفل القشرة الأرضية، وأن هذه المواد المنصهرة أكثر كثافة من مادة الجبال ولذا لا بد لها أن تغوص في تلك المواد المنصهرة الأعلى كثافة كي تحافظ على انتصابها، وتطفو سلاسل الجبال فوق مادة صهيرية لدنة أكبر كثافة وتحافظ على اتزان اللوح من القشرة الأرضية المتصلة به عن طريق جذور تمتد عميقا تماما كما ترسو السفن في الماء.

وهكذا تم اكتشاف أن القشرة الأرضية عبارة عن قطع متجاورات سميت بالألواح أو الصفائح القارية، وأن القشرة الأرضية تطفو على بحر من الصخور المرنة الأكثر كثافة تقع دونها، وأن للجبال جذوراً تساعدها على الطفو وتثبيت تلك الألواح حتى لا تميد وتضطرب، يقول فان أنجلين Van Anglin: "من المفهوم الآن أنه من الضروري وجود جذر يمتد في عباءة الأرض mantle مقابل كل جبل فوق سطح الأرض"، وأما من حيث الوظيفة أو دور الجبال في تثبيت القشرة الأرضية فقد أكده مبدأ التوازن الهيدروستاتي للأرض كما ذكره الجيولوجي داتون Dutton سنة ١٨٨٩ حيث يقرر أن المرتفعات الجبلية تغوص في العمق بمقدار يتناسب طرداً مع ارتفاعها وعلوّها، وحقيقة الألواح الأرضية التي تأيدت عام ١٩٦٩ تبيّن أن الجبال تقوم بحفظ توازن كل لوح من ألواح القشرة الأرضية، وبهذا يتضح أن الجبال تماثل الأوتاد تماما شكلا ووظيفة كما هو مذكور في القرآن العظيم.

ولم يغب عن المفسرين وجه الشبه في النبأ: (وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً) ففهموا أنه في التثبيت، وقالوا جعل للأرض أوتاداً بمعنى أرساها وثبتها وجعلها تقر وتسكن ولا تميد، وكمثال تعلو قمة جبال الهيمالايا الشامخة ثمانية كيلومترات وبضع مئات الأمتار عن سطح البحر وتمتد جذورها عميقا نحو الباطن أضعاف ارتفاعها، فقد أثبتت الوسائل العلمية الحديثة للمسح الجيولوجي أن جبال الهيمالايا تمتد عميقا لمسافة ٦٥ كيلو متر تقريبا في جوف الأرض، وهكذا يكون الجزء المختفي من الجبال تحت السطح يعادل أضعاف الجزء المرئي البارز فوق السطح، وهذا الامتداد في الأرض المماثل لامتداد الوتد لم يعرفه بشر عند نزول القرآن بالقطع، ناهيك عن التماثل في الوظيفة كذلك، لأن مهمة الوتد تثبيت الخيمة؛ وكذلك تقوم جذور الجبال بحفظ ثبات الكتلة الطافية فوق الدثار الملتهب للأرض.

إنه توازن مدهش أبدعه الخالق سبحانه وتعالى حيث جعل الغلاف الصخري يطفو فوق الغلاف اللدن المضطرب، وترسو أو تطفو القارات بما تحمل من كل البحار على وشاح الأرض كما يطفو جبل الجليد فوق الماء تماما، وتمتد جذور القارات عميقا في وشاح الأرض، ويلاحظ أن الجذور أسفل سلاسل الجبال أكثر عمقا بكثير من الجذور تحت المناطق المستوية غير الجبلية، هذا ما اكتشفه العلم؛ ولكن القرآن الكريم سجل ذلك قبل العلم بأكثر من ألف سنة حيث يقول الحق سبحانه (وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا)، وبالتأكيد إن التعبير الوصفي (أَوْتَادًا) لا يعدله في الدقة شيء، وإن أي عاقل ليقطع جازماً بأن هذا الكتاب ليس من صنع البشر مهما أوتوا من العبقرية والذكاء والفطنة والدهاء وإنما هو كلام الله تعالى خالق كل شيء والعالم وحده بحقيقة كل شيء مصداقاً لقوله عز وجل: "أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" الملك: ١٤.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

في تفسير الجلالين: "{أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا} فِرَاشًا كَالْمَهْدِ {وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا} تَثْبُت بِهَا الْأَرْض كَمَا تَثْبُت الْخِيَام بِالْأَوْتَادِ وَالِاسْتِفْهَام لِلتَّقْرِيرِ"[٣]، وفي تفسير مجمع البحوث الإسلامية: "(وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا): أي: كالأَوتاد أرسينا بها الأَرض حتى قرَّت وثبتت كما يُرسي البيت من الشَّعْر (يعني الخيمة في البوادي زمن الوحي) ونحوه بالأَوتاد"[٤].

وقال المراغي: "(وَالْجِبالَ أَوْتاداً) أي وجعلنا الجبال لها كالأوتاد كي لا تميل بأهلها،وتضطرب بسكانها، ولولاها لكانت دائمة الاضطراب لما في جوفها من المواد الدائمة الجيشان، فلا تتم الحكمة فى كونها مهادا لهم"[٥].

[٣] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (ص٧٨٧).

[٤] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (١٠\ ١٧٤٢).

[٥] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (٧\ ١٣٠).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Geology

علوم الأرض

المَوْضُوع Subject

Mountains

الجبال

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ ٧٨النبأ:٦و٧.
- ﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ١٦النحل:١٥.
- ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطاً. لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً﴾ ٧١نوح:١٩و٢٠.
- ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ ٨٨الغاشية:١٧-٢٠.
- ﴿وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ٢١الأنبياء: ٣١.
- ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ ٣١لقمان:١٠.
- ﴿أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلاَلَهَآ أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَـٰهٌ مَّعَ اللهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ ٢٧النمل:٦١.
- ﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٤٠غافر:٦٤.
- ﴿أَأَمِنتُمْ مَّن فِي السَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ٦٧الملك:١٦.
- ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ﴾ ١٣الرعد:٤.